﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [النور:46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإلـحـاحُ في الإرشاد إحسانٌ عظيمٌ

كانت الآياتُ السابقة محمَّلةً بجملةٍ مِن الدلائل والعِبر على ألوهيَّة الله تعالى وعظيم قدرته، فجاءت هذه الآيةُ تذييلًا ونتيجةً لها؛ ولذلك خُتِمَت بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، أي: إن لم يهتدِ بتلك الآيات أهلُ الضلالة؛ فذلك لأنَّ الله لم يهدِهم؛ لأنَّه يهدي مَن يشاء، والمراد بالآيات هنا آياتُ القرآن، كما يقتضيه فعلُ الإنزالِ في قوله تعالى: ﴿أَنزَلۡنَآ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾: (بين) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وانْكِشافُهُ، فالبَيْنُ الفِراقُ، يُقالُ: بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، والبَيونُ: البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ، والبينُ: قِطْعَةٌ مِنَ الأَرْضِ قَدْرُ مَدِّ البَصَرِ، قالَ:

بِسَرْوٍ حِميَرَ أَبْوالُ البِغالِ به *** أَنَّى تَسَدَّيْتَ وهْنًا ذَلِكَ البينا

وبَانَ الشَّيْءُ وأَبانَ؛ إذا اتَّضَحَ، وانْكَشَفَ، وفُلانٌ أَبْيَنُ مِنْ فُلانٍ، أَيْ: أَوْضَحُ كَلامًا مِنْهُ[2]، والبَيِّنَة: الدلالة الواضحة عقليَّة كانت أو محسوسة، والبَيان: الكشف عن الشيء، وهو أعمُّ من النُّطق، لأنَّ النُّطق مختصٌّ بالإنسان، ويُسمّى ما بيَّن به بيانًا"[3].

والمعنى هنا: ﴿مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾: أي: لا خفاء في شيءٍ منها عند أحد مِن الخَلْق، فهنَّ موضَّحاتٌ مكشوفاتٌ مِن قِبَل الله تعالى على قراءة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 267.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(3) الراغب، المفردات: (بين).

الفتح: (مبيَّنات)، وهنَّ سببٌ في توضيح بعض المقاصد وكشف حقائقها، والمراد منها، على قراءة الكسر: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سبحانه يلفت إلى آياته الظاهرات إحسانًا منه

لقد أنزلنا في هذه السورةِ - وما تقدَّمها - بما لنا مِن العظمة آياتٍ مشتملةً على الحِكَم والأحكام والأدلَّة والأمثال، وهذه الآياتُ واضحاتٌ في أنفسهنَّ، وموضِّحةٌ لغيرهنَّ، فلا حجَّة لأحد من الخَلْقِ بأنَّ فيها نوعَ نقصٍ؛ لأنَّ اللَّه قد أراد هدايتكم، بعضكم بالبيان، وبعضكم بخلق الإذعان، والمَلِكُ الأعظمُ سبحانه يهدي مَن يشاء مِن عباده كلِّهم إلى صراط مستقيم، بالقوَّة بإنزال الآيات، وبالفعل بخَلْق الإيمان والإخْباتِ، فيؤمنون حينئذٍ إيمانًا ثابتًا عريقًا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل الآية عمّا قبلها:

جدَّد إحسانًا عليهم بتجديد الدعوة إلى التعرُّف على أدلَّة الوحدانيَّة

هذه الجملةُ كلام مسوقٌ لذكر آيات اللَّه ﷻ عن طريق الالتفاتِ من الغيبة فيما سبق إلى التكلُّم، على طريقة التذييل؛ لبيان الأدلة كلِّها على كمال قدرة اللَّه تعالى على خلق جميع الموجودات، أو المراد بها القرآن الكريم؛ لكونه مشتملًا على جميع الدلائل والعِبَر من عظمة اللَّه ﷻ المسرودة في هذا الكون العظيم، فوردت كالنتيجة المتمِّمة لهذا الاستدلال على تلك القدرة الإلهية، والأَوْلى الحملُ على هذا، فتكون الآيةُ راجعةً إلى مطلع السورة: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور:1]، ولذلك لم تُعطف هذه الآية على ما قبلَها، بعكس قوله السابق: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [النور:34]؛ لأن مضمونَها يلزم مِن معاني

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 274.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 274.

الاستدلالات والعِبَرِ السابقة، فبينهما كمال اتصال، على جهة اللزوم والتوكيد المعنوي.

بلاغةُ التوكيدِ:

عـظـمـةُ هـذه الآيات مستمَدَّةٌ مـــن عـظـمـة منزلها ﷻ

وردت أكثرُ من أداة للتأكيد في قوله: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾، وهي اللام وقد، وكلُّها لبيان عظمة الآيات المنزَّلة، التي هي سببٌ بالغ من أسباب الهداية التي نثرها الله تعالى في جميع الكون، وبيانِ نسبتها إلى المنزِّل ﷻ فلا يشوبها شكٌّ، ولا تحوم حولها شبهةٌ، بل هي بيِّنات ظاهرات واضحاتٌ لا تغيب شمس هدايتها عن الأعين، فالمقام إذًا يستدعي هذا التأكيد، ويحثُّ عليه.

سرُّ إسناد فعلِ الإنزال إلى ضمير العظمة:

لا يـقـدر عـلى إنزال هذه الآياتِ إلّا مَنْ هو عظيمٌ في ذاته وصفاته

لمّا كانت الآيات دالَّةً على عظم قدرة الله تعالى وحسن تصرُّفِه في خلقه حسبما تقتضيه إرادتُهُ ومشيئته؛ أُسندت إلى ضمير العظمةِ في قوله: ﴿أَنزَلۡنَآ﴾؛ تشريفًا وتقديرًا للمنزِّل - ﷻ - وتقديرًا للمنزَّل، وهو هذه الآيات البيِّنات، وقد تقدَّم ما يدلُّ صراحةً على ضمير المعظِّم نفسه، فجاء التعبير بإيراد أدلَّة التوحيد بهذا البيان الجامع الشامل لجميع تلك الأدلَّة، فالأمر إذًا جدُّ عظيم، ولمّا كان الأمر كذلك؛ عُبِّر بما هو أعمُّ، وهو لفظ الإنزال دون التنزيل؛ لعظم الأمر.

دلالةُ الجمع:

أحـسـن تـعـالى بتنويع الآيـاتِ وتمييزها

جُمِعَت الآيات في قوله: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ لجمع الدلائل، وتنوُّعها وكثرتها، "والمرادُ بالآيات هنا آياتُ القرآن، كما يقتضيه فعلُ أنزلنا"[1]، ولَمَّا كانت آياته تعالى مميَّزة؛ لما فيها مِن سيما الألوهيَّة، وكان في مُكْنة العباد الاستدلالُ بها على الله، وحسنُ الانتفاع بها واستثمارها؛ عُبِّرَ بالآيات، وهو جمع مؤنَّث سالم، وهو مِن أوزان القلَّة، أو ملحق بهنَّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 267.

سرُّ الوصف بـ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾:

كمالُ الوضوح والبيان سمةُ هذه الآيات

الوصفُ دليلٌ على موصوفه وبرهانٌ عليه؛ فبعد أن ذكرَ اللّٰه تعالى الحكمَ والأدلَّة على عظم قدرتهِ، وساق الأمثلة على ذلك بالآيات؛ ذكر وصفها، مِن كونها واضحاتٍ مبيِّناتٍ كاشفات عن تلك القدرة وعظيم تصرُّفه في كونه على ما شاءت حكمته وإرادته؛ لمزيد الترغيب في النَّظر فيها، والانتفاع بها، والتعبيرُ بالوصف: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ يعمُّ كلَّ ما نصب اللّٰه تعالى من آية ودليلٍ على ألوهيَّته ووحدانيَّته، والمراد بكونها: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أنَّها لا خفاء فيها ولا التواء في أيِّ شيء منها عند سائرِ الخَلق، وأنَّها تدلُّ على اللّٰه ﷻ دلالةً واضحة بيّنة.

توجيهُ قراءتَي قوله: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾:

آياتُه تعالى كاملةٌ تامَّة فيما أريد منها؛ فهي بيِّنةٌ في ذاتها مبيِّنة لغيرها

قرأ ابن عامر وحفص والكسائي وحمزة وخلف ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء على البناء للفاعل: ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾، والمعنى: هذه الآياتُ مبيِّنات لكلِّ ما لكم حاجة إلى بيانه من الحدود والأحكام والآداب، إلى غير ذلك من مبادئ يراد بيانها وتوضيحها، فصارت هذه الآياتُ كاشفةً للخلق جميعًا جلالَ قدرةِ اللّٰه تعالى وعظيمَ تصرُّفه في هذا الكون العريض، وأُسند التبيين إلى الآيات إسنادًا مجازيًّا عقليًّا لعلاقة السببيَّة؛ إذ صارت هذه الآيات سببًا في البيان، والمراد ما تسبَّب عنها من بيان تلك القدرة العظيمةِ، فأطلق السَّبب، وأُريد المسبَّبُ عنه، وهو الإيقانُ والاتِّعاظ.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وشعبة ويعقوب (مبيَّنات) بفتح الياء على البناء للمفعول، والمعنى عليه: آياتٌ بيَّنها اللّٰه تعالى وجعلها واضحةَ الدِّلالة على الأحكام والحدود وغيرها من الآداب الواردة في هذه السورة الكريمة، بيَّنها، ووضَّحها، وجعلها خاليةً من اللَّبس والغموض.

بلاغةُ العطفِ بالواوِ:

دلائـل الحـقِّ ظـاهـرةٌ، ولكنَّ الـهـدايـة إلى الحق بيدِ الله وحده

عُطِفت جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ على سابقتها؛ لاتِّفاقهما في الخبرية، وصارت هذه الجملة كالمتمِّمة لقوله: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾؛ فلمّا ذكر أوَّلًا الكلامَ عن هذه الآيات الواضحات؛ بقي أن يشير إلى المترتِّب عليها، وهو الانتفاع بتلك الآيات؛ بإسناد الهداية إليه ﷻ الذي تولَّى هدايةَ هذا الخلق إلى معرفة تلك الآياتِ الواضحات؛ تتميمًا للغرض المقصود منها، والمراد: أنَّه ﷻ يرشدهم إلى تفهُّم هذه الآيات وتعقُّلها، ويرشد من يشاء إلى الطريق القويم، الذي لا اعوجاج فيه البتَّة، وقد ورد ترتيبُ الجملتين على نسق المقدِّمة والسَّبب، والنَّتيجة والمسبِّب؛ للإعلام بأنَّ هذه الآيات المبيّنات هي السَّبيل القويم إلى تلك الهداية إلى الصراط المستقيم.

سرُّ ذكرِ المسند إليه مُظهَرًا:

أظـهـرَ اسـمـه؛ ليلفت الغافلين إليه

ورد المسندُ إليه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي﴾ مظهرًا، مع سبْق الحديث عنه فيما سبَق؛ بيانًا وتشريفًا وتعظيمًا للاسم الجليل، وتربيةً للمهابة في النُّفوس بذكره صراحةً لا كنايةً، ولا إضمارًا، أو لإلقاء الرَّوع في النُّفوس؛ لتقوية الغرض المسوق له الكلام، وهو بيان أنَّ أحدًا لا يقدر على هداية أحد إطلاقًا، وإنَّما الذي يملك هذا، ويستطيعه هو الله - ﷻ - فنُفيت الهداية عن الخلق جميعهم، وبقيت لله ﷻ وحده.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارع:

هدايةُ الله تعالى لخلقه مستمرَّةٌ ومتجدِّدة

الفعلُ المضارع: ﴿يَهۡدِي﴾ دالٌّ في أصل وضعه على التجدُّد والاستمرار، مع استحضار الصورة الماضية للفعل، فإيقاعُهُ مضارعًا دلَّ على تكراره وتجدُّده بلا انقطاع، وهذا مشاهَدٌ منذ خلق آدم إلى اليوم.

نكتةُ حذفِ المتعلَّق:

حُذِفَ متعلَّق فعل المشيئة، والأصل: (والله يهدي من يشاء

هدايته، أو: أن يهديه)، والحذف أبلغُ في تقرير مشيئته ﷻ فإنَّها المشيئة المختارة، وقد حسَّن الحذفَ أنَّ مفعولَ المشيئة ليس غريبًا تعلُّقه بالفعل، بل هو معلوم من سياق الكلام، وتعلُّقه به تعالى ظاهر، ولو كان غريبًا تعلُّقه به؛ لكان من البلاغة ذكرُه صراحةً.

في الحذف سيما الألوهيَّة

معنى ﴿إِلَىٰ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

﴿إِلَىٰ﴾ حرف يدلُّ على انتهاء الغاية، وهي تقابل (مِن) الدالَّة على ابتداء الغاية، ولا يخلو أن تقترنَ بها قرينةٌ تدلُّ على أنَّ ما بعدَها داخل فيما قبلها، أو غير داخل، وإن لم تقترن بها قرينةٌ تدلُّ على أنَّ ما بعدها داخل فيما قبلها أو غير داخل، فيصار إليه قطعًا؛ وإن لم يقترن بها[1]، وهنا جعل الله تعالى الصراط المستقيم هو الغاية التي يصل إليها كلُّ مهتدٍ أراد الله هدايته، ووراء ذلك من المعنى عظمةُ ذلك الصراط المستقيم وفخامته.

غـايـةُ كـلِّ الأمـالي، وقبَّة الشرف والمعالي أن يـسـلـكَ المـرء الـطـريـق المستقيم

بلاغةُ الاستعارةِ في: ﴿صِرَٰطٍ﴾:

ورد التَّعبيرُ بلفظ الصِّراط المستقيم استعارةً تصريحيَّةً أصليَّةً؛ شُبِّه الدّين القويم - في آدابه وترتيب أحكامه وبيان أوامره ونواهيه؛ ممَّا يصل بالإنسان إلى النور والهدى والاستقامة، مع إقامة الأدلَّة والبراهين على سموِّ أخلاقه - بالصراط المستقيم الموصِّل إلى حقيقة الحقِّ والعدل والفوز بالجنة؛ مبالغةً في الاعتدال والاستقامة، والقرينةُ حاليَّةٌ مفهومة من سياق الكلام الدالِّ على طهارة هذا الدين وروعة بنيانه، ووصفُ الصراط بالاستقامةِ هنا كنايةٌ عن اعتدالهِ وصدق براهينه وحججه القويمة.

الـصِّـراطُ المستقيمُ هو المـوصِّـل إلى الحق والعدل والفوز بالجنة

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 232.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»